السادات يبدأ حملة الصلح والأعتراف باسرائيل

الون : ترحيب وتحفظ !

رابين : دعوة للقاءات ثنائية !

تطور الحوار غير المباشر بين المسؤولين المصريين والاسرائيليين في الايام القليلة الماضية ، من مقترحات الى استئناف مؤتمر جنيف ، وانهاء حالة الحرب ، الى دعوة الزعماء الاسرائيليين لعقد لقاءات ثنائية بين مسؤولي الحكومتين ، تكون تمهيدية ، وفي الوقت نفسه ، تمتحن لصالح اسرائيل ، القيمة الحقيقية لعروض الرئيس السادات « السلمية » ، التي طرحها في الاسابيع الاخيرة . ففي تلك العروض اكد السادات عزم مصر على مواصلة « تذليل العقبات » امام التسوية السلمية في المنطقة ، رغم انه لم يحصل لقاءها ، على ردود فعل مشجعة اميركية كانت او اسرائيلية ، تبرر هذا السخاء المتسامح العربي تجاه العدو ، ورغم ان هذه العروض تضع الموقف العربي التسووي ، في موقع المعرض لطلب المزيد من التنازلات لاسرائيل .

لعل النهج السياسي العربي المتهافت على تسوية اميركية للصراع العربي - الاسرائيلي هو الذي يفسر ردة الفعل الاسرائيلية الرسمية تجاه عروض السلام المصرية، المتحفظة في « ايجابيتها » تجاهها ، والمتعنتة في ن معا ، فيما يتعلق بالمواقف الاساسية للعدو . ولعل هذا النهج العربي هو الذي يفسر ايضا ، التعارض الظاهري في التفاؤل الرسمي الاميركي الذي عبر عنه وزير الخارجية كيسنجر ، حول فرص التسوية السلمية بين العرب واسرائيل ، وبين مصلحة حكومة العدو في التعبير عن شكها تارة ، بالعروض المصرية ، والترحيب بها بتحفظ تارة اخرى .

فاذا كانت ردة فعل العدو الاسرائيلي قد خففت من وقع العروض العربية « السلمية » بحيث بدت معها المقترحات والمقترحات المضادة ، السلمية للطرفين ، وكأنها مجرد مساجلة « بيننا » وبين العدو ، لاظهار الطرف الاكثر حرصا وبالتالي الاكثر استعدادا لتحقيق تسوية سلمية في المنطقة ،امام الرأي العام العالمي ، الا ان هذا لا يعتم على جدية الاستعداد العربي الرسمي لتحرك قطار التسوية السلمية ، خلال اشهر قليلة ، وعلى جدية التأهب الاسرائيلي لمثل هذا التحرك ، ونية ادارة لرئيس كارتر العتيدة على تحريكه في عام ١٩٧٧. ردا يبدو مساجلة دعائية - وبعض الاصوات لمسؤولة في الجوقة الاسرائيلية تصف « عروض لسلام » العربية بمناورة دعائية - هي في الواقع ،ملية اطلاق بالونات تجربة وجس نبض لمقترحات تتعلق بالطرح القادم للقضية ، بعد تسلم الرئيس الاميركي المنتخب مقاليد الحكم .

فالرئيس السادات يقيس مدى تجاوب اسرائيل لاقصى تنازلات حتى الان للانظمة العربيةالمنخرطة في طريق التسوية الاميركية ، والاسرائيليون يتحفظون ، ويشككون لقياس مدى التنازلات التي يمكن توقعها من هذه الانظمة ، والاميركيون يرقبون بغبطة ويسجلون ، ويقيسون كل خطوة لهم تمكنهم من الحفاظ على غطاء الحكم او الوسيط المزيف ، وهم طرف معاد اساسي ، في صراعنا مع اسرائيل - مثلما عكس موقفهم غير المفاجيء في قرار الامم المتحدة الاخير حول انتهاكات اسرائيل للقوانين الدولية في الاراضي العربية المحتلة .

■■ الاسرائيليون يريدون اكثر ...

ومن السهل تلمس حماسة حكومة العدو لعروض الرئيس السادات « السلمية » ، وطلبهم لعروض افضل منها . فهم يطلبون المزيد من التنازلات ، بعد ان اعطاهم ما اعتبره الاميركيون ، افضل ما حصلوا عليه منذ ٢٨ عاما . فقد دعا كل من رابين ووزير خارجيته الون ، الرئيس السادات وابماعيل فهمي ، الى عقد لقاءات ثنائية مباشرة لاجراء مفاوضات حول التسوية ، في اي وقت واي مكان ، للاعداد لمحادثات سلام بين ممثلي الحكومتين . ورحب الون بتحفظ ، بتصريحات السادات الاخيرة ، فاعتبرها « ايجابية للغاية » الا ان « قيمتها الحقيقية » لا يمكن تقديرها الا على طاولة المفاوضات ، ثم راح يطلب المزيد عندما اضاف قائلا : ما ان يدلي السادات ببيان يمكن تفسيره بانه استعداد لبدء مفاوضات سلام ، فانه ورابين سيكونان مستعدين فورا للاستجابة ، واعرب عن استعداده الذهاب حتى الى القاهرة ، ولكنه بالطبع لم يوضح حدود التنازلات العربية التي سيفسرها كدليل استعداد من الطرف الاخر..

اما الرئيس السادات فقد اضاف جديدا الى سلة التنازلات عندما ابدى في حديث لمجلة «تايم» الاميركية ،استعداده لتوقيع اتفاق تنسحب بموجبه اسرائيل ، انسحابا كليا من الاراضي العربية المحتلة ، على ان يكون لها ممر الى خليج العقبة ... واما الحكم السوري فقد اكد استعداده لتحرك قطار التسوية السلمية ، في البيان الذي اعلن فيه التجديد ٦ اشهر اخرى للقوات الدولية في الجولان ، « لافساح المجال امام تحقيق سلام عادل ودائم » ، وبرغم ان الفرصة السابقة التي اعطاها في تجديده السابق ، لم يتحقق منها شيء بسبب تعنت اسرائيل ، واكد فيه حرصه على «عدم ضياع الفرص»التي اتاحتها سوريا للمساعي المبذولة من اجل السلام ...

واذا كان الاميركيون يقيمون التوجه العربي التسووي تقييما ايجابيا ومتحمسا ، وهذا مفهوم ، الا ان مسؤولين اميركيين خصصوا التجديد السوري للقوات الدولية في الجولان بالاشارة الى محاولة سوريا في الاونة الاخيرة اعطاء الانطباع بانها تمارس ديبلوماسية معتدلة « وان رفضها التمديد للقوات الدولية سيكون مناقضا لهذا الهدف » ، وايضا ، الى ان سوريا ستكون بهذا الشكل ، في وضع ملائم تجاه قيام مبادرة اميركية من اجل ترتيب مفاوضات سلام في منطقة الشرق الاوسط»..

ان عروض السادات « السلمية » والتجديد السوري للقوات الدولية لفترة ٦ اشهر اخرى ، تدخل ضمن الاستعدادات العربية لتحرك ادارةكارتر العتيدة على طريق مبادرة اميركية لتسوية استسلامية لصراعنا مع العدو الصهيوني . وقد اطلق محمود رياض امين عام الجامعة العربية ، النفير العربي الرسمي لمواصلة الاستعدادات العربية والتي اخذت اكثر اشكالها عنفا ودموية في المخطط التصفوي على الساحة اللبنانية ، لتحجيم وتطويع المقاومة الفلسطينية . وباطلاقه النفير لكافة الدول العربية ، اكد محمود رياض زوال التعارض المصري - السوري لصالح تنسيق المواقف من اجل « عام التسوية » ، عندما اعلن بأن على دول المواجهة العربية ، التحرك بسرعة لتنسيق مواقفها السياسية والعسكرية والاتفاق على رأي موحد قبل بداية العام ١٩٧٧ ، على اساس انه عام التسوية ، وايجاد حل لازمة الشرق الاوسط والقضية الفلسطينية » ، ومشيرا الى ان عودة الاتصال بين القاهرة ودمشق لتوحيد المواقف وتحقيق التضامن ووضع صيغة عمل مشتركة ومتفق عليها ، يجب ان تتسع لتشمل دول المواجهة ثم لتشمل بعد ذلك جميع الدول العربية حتى تحصل على التأييد والسند والدعم الشامل ،وداعيا الى ضرورة تأكيد وتعميق التضامن العربي على ابواب ١٩٧٧ ، وحتى تتسلم الادارة الاميركية الجديدة مقاليد الحكم .

■■ ... والاميركيون يتفاعلون عربيا

وخطورة هذا الاستعداد المحموم للانظمةالعربية المنخرطة في مشاريع التسوية السلمية ، انها تجري بهذه الحماسة التي تعكسها عروض الرئيس المصري التنازلية في الوقت الذي لم يترك فيه المسؤولون الاميركيون الحاليون والعتيدون ، مجالا لانصار هذا النهج التسووي فرصة التذرع بامكان تعديل في السياسة الخارجية الاميركية . لا بل ان المسؤولين العرب كانوا اكثر ملكية من الملك عندما تمنوا بقاء كيسنجر او استمراره في مهمته في الشرق الاوسط ، بعد تشكيل ادارة الرئيس كارتر!

فالوزير الاميركي كيسنجر اكد تكرارا في الاجتماع السنوي لمنظمة حلف شمال الاطلسي ، بأن السياسة الخارجية الاميركية خلال ولاية كارتر ستظل في جوهرها ، السياسة التي انتهجت حتى الان . وكليملن الخبير الاميركي فيالشؤونالخارجية والامنالقومي ، والمرشح لمنصب وزير الخارجية في الادارة القادمة ، يقول بأنه من الصعب حدوث تغيير جذري على سياسة الولايات المتحدةالخارجية بالنسبة الى الشرق الاوسط . ومستشار كارتر بريجينسكي ، يقول ضرورة اعتراف الجميع ، بما في ذلك الفلسطينيين ، باسرائيل ، وبحاجة اسرائيل الى خطوط دفاعية ، ومذكرا بذلك باعلان كارتر ضرورة بقاء القدس والجولان تحت سيطرة اسرائيل .

وكان المستشار بريجينسكي قد اعلن في مقابلة مع مناحيم بيغن بأنه يعتقد انه لن تكون هناك عودة الى مشروع روجرز ، وانه « اذا جرت مناقشة للقضية الفلسطينيه فيجب استنفاذ هذه المناقشة قبل كل شيء بين اسرائيل والاردن . ولكن اذا اعترفت منظمة التحرير بقراري مجلس الامن ٢٤٢ و ٣٣٨ فانه يمكن اعتبار ذلك اعترافا باسرائيل لان هذين القراريين يتحدثان عن الاعتراف باسرائيل »... واضاف بأن اسرائيل بحاجة الى خطوط دفاعية حتى ولو لم تكن حدودا سياسية ، وانه يمكن التوصل الى ذلك عبر المفاوضات ...

□□□

ان جوهر السياسة الخارجية الاميركية هو هو لو بقي فورد او اتى كارتر . فالولايات المتحدة تعمل لضمان وتعزيز هيمنتها الامبريالية على الوطن العربي . وهي في هذا المسعى تعمل لضمان وجود وامن واستمرار الكيان الصهيوني المهيمن كركيزة اقليمية رئيسية لها في المنطقة . ومن هنا فان كل تنازل عربي قدم ويقدم من الانظمة العربية السائرة في طريق التسوية الاميركية هو تسهيل لتحقيقهذه الاهداف الاستراتيجية للمعسكر الامبريالي - الصهيوني المعادي . ولهذا لم يسع كيسنجر فياجتماع حلف الاطلسي الذي عقد مؤخرا، الا ابداء تفاؤله بما حققه الحلف الاميركي - الاسرائيلي عندما قال بأن « احتمالات السلام في المنطقة هي الان افضل مما كانت عليه في اي وقت مضى منذ ٢٨ عاما » (!)

وهذا التفاؤل الاميركي بالانظمة العربية ، الى درجة تأكيد كيسنجر استعداد بلاده استئنافمؤتمر جنيف الخاص بالشرق الاوسط ، او عقد اجتماع تمهيدي له ، لا يقلل من اهميته ، البرودة التي اتسمت بها ردة الفعل الاسرائيلية لعروض « السلام » العربية .

لقد دافع رابين عن موقفه من المبادرات العربية بمبرر يزيد من برودته . فقد قال بأن مبادرات السلام المصرية ستلقى « تعاطفا » من جانب اسرائيل ، ولكنه لا يرى « مبررا لصياغة تحركات جديدة نحو السلام تترتب عليها تغييرات في سياسة اسرائيل » ، وبأنه « ليس المطلوب ان تقدم اسرائيل يوميا ، فكرة جديدة للسلام » لمجرد اثبات انه تريده حقا (!)

اما وزير الدفاع بيريز فقد اعتمد اسلوب الاستخفاف والتهديد عندما اشار الى ان العرب « لن ينجحوا في ان يفرضوا على اسرائيل في تسوية ، ما لم ينجحوا في فرضه عليها بالحرب »، وانهم اذا رفضوا اي تنازل (؟!)فسيجدون انفسهم في مواجهة مع اسرائيل . واذا كان القادة العرب على استعداد حقيقي لتقديم تنازلات فان المفاوضات مع اسرائيل ستكون ممكنة وسيصبح في الامكان تجنب حرب جديدة . وعزز مردخاي غور رئيس الاركان تهديد بيريز عندما اعلن بدوره بأن الجيش الاسرائيلي سيستطيع في حال نشوب حرب ، ان يحقق « انتصارا قاطعا ،سهلا وسريعا وبأقل ما يمكن من الخسائر ، وضمان ان تصبح حدود اسرائيل الجغرافية السياسيةبعدها احسن بكثير » . (!) هذا ، بينما راح مسؤولون اسرائيليون يروجون بأن العرب رغم حملة السلام، يستعدون للحرب ...

□□□

ان هذه التصريحات الاسرائيلية لا تبدد تفاؤل كيسنجر . فالتفاؤل الاميركي هو تفاؤل بالشوط الذي قطعته الانظمة العربية ، لا اسرائيل ، على طريق « تذليل العقبات » امام قطار التسوية السلمية . والتعنت الاسرائيلي الواضح يهدف الى استحصال المزيد من التنازلات في اية مفاوضات قادمة ، بعدما حصلت اسرائيل على كل ما حصلت عليه حتى الان من تنازلات ومن وعود بأكثر ، من دون مقابل .

■■